مجلة مقامات
EISSN 2253-0363: / ISSN : ISSN2543-3857
المجلد 06 / العـدد: 02 (2022)، ص 124- 140

حضور الأندلس في الخطاب الشعري السعودي المُعاصر
-وقفة مع رؤى الناقد حسن الوراكلي -

The presence of Andalusia in contemporary Saudi poetic discourse
- Pause with the visions of the critic Hassan Al-Warkli -

د.محمد سيف الإسلام بــوفــلاقـــة
mouhamed saif alislam boufalaka
كلية الآداب واللُّغات، قسم اللُّغة العربية وآدابها، جامعة عنابة، الجزائر، saifalislamsaad@yahoo.fr

تاريخ الاستلام: 09 /2022/12م تاريخ القبول: اليوم /الشهر/السنة

ملخص: يعد كتاب«الأندلس في ذاكرة الشاعر السعودي» للناقد ،والمفكر الإسلامي الدكتور حسن الوراكلي أحد أهم الكتب النقدية التي حللت بعمق تجربة مجموعة من شعراء المملكة العربية السعودية الذين كتبوا إبداعات مشرقة عن البلاد الأندلسية الزاهرة ، ويهدف هذا البحث إلى تقديم مُعالجة تحليلية لهذا الكتاب ، ويسعى إلى إبراز الصورة التي رسمها عن حضور الأندلس في الخطاب الشعري السعودي المعاصر، ويعود تركيزنا على رؤيته إلى جُملة من الأسباب،فرؤيته تتسم بالعمق، والشمولية، وقد جاءت دراسة الدكتور الوراكلي غنية في أفكارها ، وسلسة في أسلوبها ، وجديدة في مضامينها ، فالمسائل التي أجلت عنها الغموض جعلتها دعامة لأبحاث لاحقة ، وفيها يلفي الباحث ما يُشبع فضوله.

كلمات مفتاحية: الأندلس، الشاعر، حضور، المعاصر، الخطاب.

Abstract: The book “Andalusia in the Memory of the Saudi Poet” by the critic and Islamic thinker Dr. Hassan Al-Warkli is one of the most important critical books that deeply analyzed the experience of a group of poets in the Kingdom of Saudi Arabia who wrote bright creations about the prosperous Andalusian country. This research aims to provide an analytical treatment of this book. To highlight the image

he drew of the presence of Andalusia in the contemporary Saudi poetic discourse.

Keywords : Andalusia, poet, presence, contemporary, discourse.

مقدمة:

لا يختلف اثنان في أن الأندلس تحتل مكانة متميزة في أفئدة الشعراء العرب ، فتاريخ الأندلس-على امتداده وغناه- يزخر بحقبات متميزة ازدهرت فيها الحضارة ، والثقافة ، وهذا ما أتاح للفكر ، والإبداع الأدبي مجالاً خصباً للتألق ، والإبداع ، و تحتل الأندلس العربية موقعاً متميزاً في العطاء الحضاري الإنساني ، والعالمي...

والذي لا ريب فيه هو أن الأندلس كانت ،ومازالت ،وستظل لها مكانة متميزة لدى« المسلمين قاطبة مستقرها السويداء من قلوبهم ، ولقد كان فقدان الأندلس ، و ما يزال ،وسيظل فجيعة لدى المسلمين قاطبة تئن لها على مرور الأيام أفئدتهم ، وتفيض لها ،على انطواء الليالي ،أعينهم.

لهذا وذاك لم تكن الأندلس لتغيب عن وجدان أبناء الأمة الإسلامية طرفة عين ، ولا أقل من ذلك...، وعندما فجع المسلمون في ديارهم ، وأوطانهم ، ونكبوا استيقظت بين حناياهم الذكرى المؤلمة التي تجلت في فردوسهم المفقود ، وألهبت لديهم مشاعر الشجاعة ، والتضحية في الذود عن كيانهم العقائدي ، ووجودهم الحضاري.

وقد تبلورت تلك المشاعر في ديوان الشعر العربي،والإسلامي الحديث كما نجد عند شوقي، وإقبال، وغيرهما...» [(1)] . وقد استحضر عدد كبير من شعراء المملكة العربية السعودية الأندلس،وجسدوها في أشعارهم الرقيقة ، فالقارئ لشعر عدد غير قليل من شعراء المملكة العربية السعودية ، يُلفي شغفهم بالبلاد الأندلسية ، ويلاحظ علاقتهم الوشيجة بها انطلاقاً من رؤاهم المتنوعة عن الأندلس التي أرست دعائم حضارة باذخة ، تعايشت فيها الأجناس، والأديان ،و تثاقفت فيها اللغات والثقافات ، وانصهرت فيها الطاقات على تنوعها ، فأثمرت مجتمعاً حياً،متفاعلاً،مبدعاً تحققت للإنسان فيه ، كإنسان كرامته ، وكفلت له حريته ، وحقوقه ، وثمن سعيه، وعطاؤه ، ولعل أبرز جوانب

هذه الحضارة قيمة وإشراقا ، ما يتعلق بمسألة التسامح الذي ساد الأندلس الإسلامية ، فقد هيأت الحضارة الأندلسية ، منذ مراحلها الأولى،الإطار الأنسب للتفاعل الحضاري الإيجابي؛فقد اندمج الجميع في جو من الحرية، والسماحة، وتكافؤ الفرص في المجتمع الأندلسي الجديد؛ يتعلمون ، ويسهمون في البناء دون عائق، أو عقدة، وهو الأمر الذي جعل الكثيرين منهم يحظون بمكانة عالية، ويتقلدون مناصب عليا في الإدارة والسياسة،فقد عاش الذميون الأمن والاستقرار في دولة الإسلام يتمتعون بحرية العقيدة والتعبد منذ الفتح الإسلامي لإيبيرية، وقد مورس الحوار بين مختلف عناصر الشعب الأندلسي طوال عصور المسلمين في الأندلس في أزمنة السلم ،وأزمنة الحرب،وقد شكّلت الفسحة الأندلسية حيّزًا إنسانيا ممتازًا للحوار ،والتفاعل بين الأديان السماوية الثلاثة، وقد بدا الأندلسيون في الأعين منصفين بأمّ فضائل المدنية، فضيلة التسامح المطلق، والحوار والتفاعل مع العناصر الأخرى لدرجة أثارت إعجاب الأعداء قبل الأصدقاء على نحو ما ذهب إليه غوستاف لوبون [(2)]

لقد استحضر شعراء المملكة العربية السعودية الأندلس لدواع شتى،لعل أبرزها:

« أ-داع موضوعي: ونعني به ما كان الواقع العربي ، والإسلامي عرفه ، وخاصة بعد الغارة الصليبية الشرسة على أقطاره ، وبلدانه ، من ألوان التردي، و الانهيار على غير ما مستوى من مستويات الحياة ، الأمر الذي حمل المتنورين من أبناء الأمة ، ومنهم الأدباء والشعراء ، على البحث عن وسائل لإصلاح هذا الواقع ، وتغييره ، فرأوا في استرداد الوعي بالذاتية الحضارية ، والثقافية عند أبناء الأمة من الأجيال الصاعدة ما يُعمق في نفوسهم الشعور بالكيان الحضاري المستقل ، والإحساس بالشخصية الثقافية المتميزة ، ورأوا في استدعاء تاريخ الأمة الإسلامية ، بأزمنته السعيدة ، والمجدبة ، وشخصياته الهادية، والضالة ، ووقائعه المفرحة ، والمحزنة ، وتصويره في أعمالهم الشعرية، ما يضع تحت أبصار الأمة وبصائرها نماذج من الاستواء ، وأخرى من الاعوجاج ، تسترشد بالأولى في سلوك الطريق القويم للبعث الحضاري والثقافي، وتتحاشى بالثانية مزالقه ، وعثراته...

ب-داع فني تصويري: ونعني به ما عمد إليه الشعراء ، وخاصة أصحاب قصيدة التفعيلة من توظيف للرمز ، والأسطورة في تشكيل لغتهم الشعرية من الجوانب التركيبية ، والدلالية ، وذلك لبلورة رؤاهم التصويرية ، والمعرفية من جهة ، وإسقاط الماضي على الحاضر،إشادة أو إدانة ، بقصد صياغة هذا الأخير ، وفق ما برئ به الأول ، وشفي سليماً من الآفات ، معافى من العاهات ، إلى مقاصد أخرى...

وقد ساعد على تقوية هذا الداعي وذاك عند الأديب العربي ما بدأت المحافل الأدبية والفكرية تشهده منذ القرن الماضي من إحياء للتراث التاريخي ، والحضاري ، والأدبي، والفكري ، وضعت بين أيدي الأدباء ، والشعراء مشاهد متعددة من تاريخ أمتهم ،بأزمنته ،وأمكنته ، وشخصياته... » [(3)].

الأندلس في ذاكرة الشاعر السعودي:

من خلال هذه الورقة نسعى إلى إبراز منظور الباحث المغربي المتميز الدكتور حسن الوراكلي ، المعروف باهتماماته بقضايا التراث الأدبي الأندلسي ، لحضور الأندلس في ذاكرة الشاعر السعودي، فالدكتور الوراكلي يحاول أن يقدم قراءة جديدة ، ومنهجية تتسم بالعمق والدقة ، وتميط اللثام عن الآلية التي تعامل بها شعراء المملكة العربية السعودية مع الأندلس ، فهو يكشف لنا التشكيلات الثقافية ، والجمالية في نصوص الشعراء السعوديين الذين استحضروا الأندلس بقوة في إبداعاتهم الشائقة.

يستهل الدكتور حسن الوراكلي دراسته المتميزة الموسومة ب: «الأندلس في ذاكرة الشاعر السعودي»بمجموعة من الأسئلة البارزة: ما إسهام الشاعر السعودي في حصيلة الأشعار ، والرحلات ، والمسرحيات التي كتبها الكتاب العرب ، وجسدوا من خلالها تاريخ الأندلس ؟ وما الذي رصده الشاعر السعودي في إبداعاته من أزمنة التاريخ الأندلسي ، وأمكنته ؟ و ما وقف عنده منها ، وما استوقف؟ وما استنطق من شخصياته ؟ وما استلهم من وقائعه؟ وما وظف من الأقنعة الرامزة لأولئك جميعاً؟ ما أضحك منها جميعاً، وما أبكى؟ وما أبهج ، وما أشجى؟ وبماذا توسل في خطابه

الشعري-الأندلسي من مقومات السياق ؟ وما عكس في رسالته من رؤى له ، وتصورات..؟

لقد تبين للدكتور حسن الوراكلي- بعد البحث والاستقصاء- أن المادة الشعرية التي كتبت من لدن شعراء المملكة العربية السعودية بوحي من الأندلس ، واستلهام لها ، تعتبر ، بالقياس إلى ما عرفه من نظائرها عند غيره من شعراء الأقطار العربية الأخرى ، ثرية، وغنية ، وذلك سواء على مستوى التنوع في مضامينها ، أو التعدد في أشكالها.

فبالنسبة إلى المستوى الأول ، فقد عالج شعراء المملكة العربية السعودية الموضوع الأندلسي ، من خلال أزمنته ، وأمكنته ، وشخصيات تاريخه ، ووقائعه ، وأبرزوا أمجاده ، وترديات ، ومن جانب آخر تجسد وجدانهم الفردي ، ووجدان أمتهم الجماعي.

ومن حيث المستوى الثاني ، توسل الشاعر السعودي في تلك المعالجة الفنية التصويرية بقوالب مختلفة ، وطرائق متنوعة ، فقد كتب الكثير من شعراء السعودية قصائد عمودية ، وغير عمودية ، وهناك بعض القصائد كتبت بطرائق مطولة على شكل ملحمة ، كما كتب البعض بطريقة المسرح الشعري ، أو الشعر المسرحي ، ومن الشعراء من أفرد هذا الموضوع بالواحدة ، من مثل: حسين عرب ، ومحمد حسن فقي ، وحيدر الغدير.

كما أن هناك من خص الأندلس بجملة من النصوص ، مثل: مطلق الثبيتي ، في حين أن هناك من اكتفى بخطفة عاجلة في هذا النص ، أو ذاك ، من مثل: صالح الزهراني ،وأحمد صالح الصالح ، وعبد الرحمن العشماوي ، وزاهد الألمعي ، وهناك من أطال من غير هؤلاء،من أمثال:محمد هاشم رشيد.

وقد لفت انتباه الدكتور حسن الوراكلي ما كتبه الشاعر عبد الله بلخير،حيث يقول في هذا الصدد: « أما المطول من النص الشعري الأندلسي،فقد انفرد به الشاعر عبد الله بلخير الذي أنشأ سبعاً طوالاً،عرفنا منها ثلاثة ، أولاها قصيدة(قرطبة) ، وهي تقع في نحو أربعة عشر ومائتي بيت ، وثانيتها قصيدة(غرناطة وقصور الحمراء) ، وهي تتألف من

اثنين وأربعين ومائة بيت. وثالثهما قصيدة(طارق بن زياد) ، وعدد أبياتها اثنان وأربعون ومائة بيت. وهذه الثلاثة الطوال ضمنها الشاعر ، فيما ضمنها ، وخاصة قصيدتي(طارق) ، و(قرطبة) ، مشاهد من سير قادة الجهاد ، والفتح ، وصوراً من بطولاتهم ، وانتصاراتهم ، وما كان لها من آثار إيجابية على الأندلس ، وهذا هو ما أضفى عليها ، فضلاً عن طولها ، طابعاً ملحمياً ، وهذه الثلاثة الطوال الأندلسية في شعر عبد الله بلخير تدلنا ، ومثلها ، بلا شك ، الأربعة التي لم تصدر بعد ، على هيمنة التاريخ الإسلامي بأزمنته ، وأمكنته ، وشخصياته ، ووقائعه ، مشرقية ومغربية ، على نفس الشاعر ،وخياله... » [(4)]

كما نبه إلى نص مطول من الشعر السعودي الأندلسي كتبه الشاعر حسين السراج، بعنوان:(غرام ولادة) ، استلهم فيه بطريقة الاتجاه الرومانسي ، التاريخ ومروياته عن قصص المحبين الشهيرة ، فكان له أن جسد من خلال وقائع مسرحيته ، وشخوصها ، ألواناً من حياة الأندلس النفسية ، والشعورية ، والسياسية ، كل ذلك في سياق شعري اتسم بالبراعة ، والتشويق.

وقد لاحظ الباحث أن المادة الشعرية التي أبدعها شعراء المملكة العربية السعودية تميزت بتحاور الماضي ، والحاضر ، وهذا ما يظهر بقوة ، إلى درجة أنه يمكن القول بأنه ما من نص شعري سعودي طاف بالأندلس ، إلا وكان صاحبه ينظر بعين إلى ما مضى ، وانقضى من تاريخ الأمة الإسلامية هناك ، وبأخرى إلى ما يشخص ، ويمثل من تاريخها في الآونة الراهنة ، وهذا ما يؤكد عمق إحساس شعراء المملكة العربية السعودية بجريان التاريخ ، وتدفقه في حياة الأمة ، بفصوله المطوية ، والمنشورة « بما حوت هذه وتلك من مشاهد يضحك المرء قليلاً لمرآها ، ويبكي كثيراً ، ومن هنا ندرك السر في تباين نغمة هذا النص ، فهي حيناً شذية ،وهي،حيناً آخر ،يائسة شجية ، كأنما هذه وتلك من إفرازات حالات شعورية متعددة تتلبس نفسية الشاعر ، وتلون خطابه بألوان فاتحة من انشراح يغمره تارة ، وغامضة أخرى ، من انقباض يعتصره... ، يفكر بالشعر

في ماض أندلسي أفل بغرناطة ، وحاضر أندلسي يمثل في واقع المسلمين حيثما كانوا من مشرق الأرض ، ومغربها...».

أ-ثنائية الانشراح والانقباض:

كرس الدكتور حسن الوراكلي القسم الأول من دراسته لإيضاح ثنائية«الانشراح والانقباض»،وهي الثنائية التي ظهرت في مجموعة من المشاهد في التاريخ الأندلسي ، فقد تجلت في«مشاهده السياسية ، والاجتماعية ، والأدبية ، ففي المشهد السياسي تطالعك ثنائية(الوحدة والفرقة) ، وفي المشهد الاجتماعي تسترعي نظرك ثنائية(البذخ والشظف) ، وفي المشهد الحربي تستوقفك ثنائية(النصر والهزيمة) ، وكان لهذه(الثنائيات) ، وغيرها ، انعكاسات إيجابية ، وأخرى سلبية على صورة الأندلس بما سطع من ملامحها ، وما بهت ، وما سحرت به الأعين من ذلك ، أو نفرت به الأنفس.

ومن نبع هذه(الثنائيات)وما كان لها من آثار ، ومعطيات على التاريخ الإسلامي بالأندلس تدفقت ثنائية(الانشراح) بصيبه ، و(الانقباض) من جهامه في وجدان الشاعر السعودي لتنبجس بين أنامله ، وتندلق من محبرته أشعاراً ، بعضها تمجيد ، وإشادة ، وبعضها تبكيت وإدانة.

وهكذا تطالعنا في الخطاب الشعري السعودي-الأندلسي ضروب من التمجيد ، وصنوف لم تدع ضرباً إلا تباهت به ، ولا صنفاً إلا فاخرت به ، على أن هذه الصنوف والضروب من التمجيد يمكن جمعها في إطار واحد يسعها ، ويجليها ، وهو ما يمكن تسميته ب(الفعل الحضاري) بدءاً من فعل الجهاد الأكبر ، و ما نجم عنه من معطيات للجهاد الأصغر في مجالات الفعل الإبداعي المختلفة ، والمتعددة. وكل فعل من هذه الأفعال يشف ، من جهة، عن جماع الخلال النفسية ، والخصال العقلية عند منجزيه ، ومن أخرى ، عن توهجهم به في ذاكرة الزمن ، وخلد الدهر...» [(5)]

بالنسبة إلى الفعل الأول ، الذي هو فعل الجهاد ، والذي بفضله تم فتح شبه الجزيرة الإيبيرية ، وتم فيها نشر الدين الإسلامي الحنيف ، وهو فعل حضاري ، حيث إنه يجيء في التصور الإسلامي على رأس الأفعال الحضارية ، وعندما يذكر الجهاد تستدعي

ذاكرة شعراء المملكة العربية السعودية الزاهرة الكثير من الأسماء ، وفي مقدمتهم فاتح الأندلس طارق بن زياد ، ويذكر الدكتور حسن الوراكلي أن أطول وقفة تمجيد ظفر بها القائد الفاتح طارق بن زياد في الخطاب الشعري السعودي هي تلك التي خصه بها الشاعر عبد الله بلخير في مطولته التي أنشأها فيه ، وقد أحاط فيها بشخصيته من مختلف الجوانب ، والأبعاد الإيمانية ،والخلقية ، والقيادية ، ومن ذلك قوله:

ودوى الأذان على مشارف صخرة الـ فتح المبين كأنه استنار
فإذا الجحافل حول طارق تملأ الـ ميدان فيها النصر والأنصار
صلى فكبرت الجموع وراءه فاهتزت الآكام و الأشجار
وتلا فأمنت الصفوف كأنها سحب تعالى عدها الموار
ودعا فرددت الصوارم والقنا التـ أمين تروي رجعها الأغوار [6]

وفي مشهد آخر يرسم الشاعر السعودي عبد الله بلخير مجموعة من الصور التي تبرز حزم طارق بن زياد،وعزيمته الفولاذية،فيقول:

ألقى على الفرسان نظرة فارس كالصقر أقوى خلقه الإبصار
ورمى بعينيه الفيالق حوله فإذا بها مثل الجبال كبار
وأجال في الرايات طرف محارب فإذا السهول أسنة وشفار
يختال ما بين الصفوف كأنه فيها وبين صفوفها صقار
والضفتان عليهما الفرسان في زرد الحديد كأنهم أقمار
وعليه من نظرات جحفله الولا والحب والإجلاء والإكبار [7].

وقد لاحظ الدكتور حسن الوراكلي أن تمجيد فعل الجهاد ، والفتح من خلال شخصية طارق لم ينفرد به الشاعر بلخير ، بل شاركه في ذلك غيره من شعراء المملكة العربية السعودية ، حيث إن تمجيد هذا الفعل ، و ما نتج عنه من آثار حضارية متميزة في حياة الأندلس ، كان قاسماً مشتركاً بين مجموعة من الشعراء من بينهم الشاعر حسين سرحان، الذي يقول مصوراً شجاعة طارق ، وجنده:

ها قد أراني والزمان على مدى والشمس تؤذن في الصباح بشارق

وكتيبة ابن زياد فوق أديه والسفن بين محرق أو غارق
ورنا إليهم ثم أرسل صيحة نكراء ذات حفائظ وشقائق
أعظم بأكرم ما دعا متلقف عن قائل أو سامع عن ناطق
ومشوا كما تمشي الروائس من علٍ وكأنهم يطؤون فوق نمارق
ومضى العدو مولياً أدباره متفيئاً ظل الغراب الناعق [8] .

وعلى هذا المنوال خاطب الشاعر أحمد عبد الغفور عطار جبل الفتح ، وأشاد بشموخه الذي صوره على أنه يستمده من عزم ، وشجاعة طارق ، وإرادته القوية ، ونوه بتسابق جنوده الشجعان إلى ميدان الوغى ، حيث يقول:

قرت بصخرك من إرادة طارق روح شمخت بها وعزم مفعم
من يوم أن وطئ الجزيرة فاتحاً لم تبتذل وهل يذل الضيغم؟
الذل يخشى بأس قوم آمنوا بعقيدة تفدى ورأي يدعم
يتسابقون إلى الجهاد وطارق يذكي الحماسة في النفوس ويضرم [9] .

وينبه الشاعر السعودي محمد حسن فقي في قصيدته التي وسمها«في ظلال الأندلس» إلى المقصد الحضاري من فتح الأندلس ، ويبرز انعكاس آثاره العميقة على البلاد الأندلسية ، حيث يقول:

جئنا إليهم رحمة وكرامة يمشي أمام جيوشها الترحيب
لكأننا كنا مناط رجائهم في أن تزول مظالم وكروب
وكأنهم كانوا لفرط بلائهم أتاهم بالشفاء طبيب [10] .

ويستحضر الشاعر السعودي مطلق الثبيتي جملة من المقاصد الحضارية التي تتعلق بالأندلس ، في قصيدة عنونها ب«عيد في مدريد»،فيقول:

كانت لنا في ربى مدريد ألوية يقودها ها هنا الغر الصناديد
ويزرعون زهور الحب في ثقة وفعلهم في ذرى التاريخ محمود
نور أفاض على(البرنية)رونقه وغازلته وهامت فيه مدريد [11] .

كما يتطلع الشاعر السعودي المعروف حسين عرب إلى جبل الفتح ، ويبرز من خلاله همة طارق بن زياد ، ويلتفت إليه ، ويخاطبه بطريقة تمجد دوره العظيم الذي سطره للتاريخ ، وظل خالداً ، فيقول:

وما الطود إلا همة طارقية أحاطت بأسرار القرون القوادم
وما هي إلا ذروة عربية تسجل للتاريخ معنى العظائم
فيا طارق انظر إن في كل موقف طوارق تحمي الغاب صولة غاشم
تنصبت بين الشرق والغرب ذروة تعلم فيها الطير نهب الجماجم
وسطرت للتاريخ كل عظيمة تفسر للأجيال معنى العظائم [12].

وفي سياق الفعل الحضاري ، فقد التفت الكثير من شعراء المملكة العربية السعودية إلى جوانب متنوعة من منجزات العلماء ، والأدباء ، والشعراء ، فقاموا بتصوير الحلقات العلمية الزاهرة التي كانت في البلاد الأندلسية ، وطفقوا يعبرون عن إعجابهم بالمجالس الأدبية الرفيعة ، كما قاموا بتجسيد علماء ، وأدباء ، وفقهاء الأندلس في أشعارهم الرقيقة، مثلما فعل الشاعر السعودي المتميز عبد الله بلخير ، عندما جسد شخصية عالم الأندلس الحكيم(ابن رشد) ، وصوره وهو يؤصل للعلوم ، ويقدم إضافات علمية متميزة ، كما رسم الشاعر نفسه(عبد الله بلخير)بريشته البارعة صورة جميلة لفقيه قرطبة الشهير ، وشاعرها(ابن حزم) ، وهو يقرئ طلابه من علومه ، وينشدهم من أشعاره ، حيث يقول:

رأيت(ابن حزم)ذاع في الدرس صوته يقرر ما أشجى القلوب وما سبى
تعالى فأصغى السامعون فخلت ما تعالى انهمار الغيث أروى وأخصبا
يحف به طلابه فهو بينهم يردد ما أفضى به وتأهبا
يشع جلال العلم فوق جبينه يفوح بعرف من تقاه مطيبا
و ينشد من شعر الجمال طرائفا يبل بها يبس القلوب مرطبا
يرش بها قلب صب وعاشق بطل من الحب الطهور تصببا
ويروي بها أصداء كل بصيرة ويجلي عن الأبصار ما تحجبا

تضوع في(طوق الحمامة)شجوه فأروى به من كان أظما وأسغبا
وأسبغ فيه من طيوف خوالج النـ فوس صفاء بالسماح مشربا[13] .

لقد تبدى للدكتور حسن الوراكلي أنه« مثلما انشرح الشاعر السعودي للفعل الجهادي ، والحضاري ، وانشرح لمنجزي هذا ، وذاك من القادة ، والعلماء ، والأدباء ، فأفاض على كل من انشراحه طيوب ثناء ، وفيوض حباء ، ألفيناه ينشرح للأمكنة التي احتضنت ، ولا يزال بعضها يحتضن آثار تلك الأفعال ، وذكريات منجزيها ،فمن وجد الراحلة والزاد خف إليها حيث هي ، ومن لم يجد راحلة ، ولا زاداً ركب إليها جناح خياله ، ثم وقف عندها كما وقف الأول...

على أن الانشراح عند الشاعر السعودي بما سحر عينيه ، وأخذ بلبه من مشاهد للفعل الحضاري التي أنجزها آباؤه ، وأجداده على أرض الأندلس ، سرعان ما تزول عنه حين يعود إلى وعيه ، أو يعود إليه وعيه ، فيكتشف أن كل ما انشرح له غدا أثراً بعد عين ، فما هي إلا أن تثور في نفسه مشاعر الحزن ، والحسرة ،والاكتئاب تعروه ، بسببها ، حال(انقباض)ينفث قلمه بألوانها القاتمة ، وهو يتلوى يأساً ، وقنوطاً...» [14].

ومن بين الشعراء الذين صوروا حالة الانقباض في أنفسهم من التمزق ، والتشتت الذي ساد البلاد الأندلسية ، الشاعر حسين سراج الذي يقول متحدثاً بلسان أحد شخوص مسرحية(غرام ولادة):

إن السيوف أراها اليوم نائمة وحاملوها لهم في لهوهم صخب
فأرضهم مزقت بين الطوائف من أتباعهم وعيون(القوط)ترتقب
هذا على جاره إلب وذاك على أخيه حرب ضروس ما لها سبب
وملك(قشالة)يجتز أرضهم مدينة تلو أخرى بئسما طلبوا
أجل سيأتي زمان قد تقام به على معابدنا الأجراس والصلب
وسوف نطرد من هذي البلاد على حال من الذل والأيام تنقلب[15] .

ويبرز إحساس الشاعر عبد الله المعطاني بالانقباض ، والألم ، وهو يشاهد ما آلت إليه الأندلس من ذل بعد عز ، في قوله:

شاهدتها ثكلى تجعد وجهها وبدت عليها قسوة الآلام
خدشت كرامتها ومزق ثوبها وبكت مساجدها على الإسلام
فرجعت أدراجي أكسر حسرة كادت تؤجج أضلعي بضرام
وألفت ثوب الذل فوق مخادعي متضائلاً من حسرتي وملامي
وتركتها ثكلى شجى أنينها وتنوح في صمت بغير كلام[16].

كما يصور الشاعر مطلق الثبيتي ما تلبسه من انقباض ، بطرائق تستعيد الماضي التليد ، حيث إنه يقف على الأطلال ، ويتذكر مدينة غرناطة الجميلة ، إذ يقول:

غرناطة هل يعيد الروح إنشادي للقصر ، للقمة الشماء ، للوادي؟
للقلعة كانت الأمجاد تسكنها أمجاد قومي وتاريخي وأمجادي؟
للزخرفات،لجنات العريف لمن كانوا على البعد آبائي وأجدادي
وهل تعود إلى الحمراء بهجتها؟ وهل يعود(أبو الحجاج)للنادي؟
وهل يعود إلى الريحان رونقه وينثر العطر في بهو السنا الهادي
وللسهول التي تمتد باسمه كانت مراتع غزلان وآساد؟
وهل تعود عروس الشعر راقصة بين(ابن عمار) يوما و(ابن عباد)
وهل تعود إلى الأغصان نضرتها حتى يغني عليها طيرنا الشادي؟[17].

ب-ثنائية الماضي الآفل والحاضر الماثل:

درس الباحث حسن الوراكلي في القسم الثاني من دراسته ثنائية(الماضي الآفل والحاضر الماثل) ، وهو يعتبرها نتيجة لثنائية (الانشراح والانقباض) ، حيث يقول: « أفضت ثنائية(الانشراح والانقباض)عند الشاعر السعودي ، وهو يتأمل الزمان الأندلسي ، والفعل الأندلسي ، والمكان الأندلسي إلى ثنائية أخرى تنازعه طرفاها في غير ما إشفاق ، ولا رأفة، تلك هي ثنائية(الماضي الآفل والحاضر الماثل).

إن ما انتاب الأندلس من ضعة بعد رفعة ، وما عرا أهلها من ذلة بعد عزة ، وما أصاب رايتها من انتكاس بعد خفقان ، نقل(الأندلس)من ماضٍ آفل انطوى مع انطواء القرون إلى حاضر ماثل في واقع الأمة الإسلامية ، من مشرق أرضها إلى المغرب ، يصبح

عليه الشاعر السعودي ، ويمسي فيروعه ما راعه في ماضي الأندلس الآفل من غي بعد رشد ، وضلال بعد هدى ، وفرقة بعد وحدة ، و إذا به لا يملك إلا أن يدين فرقة المسلمين وخلافهم ، وهو ما مكن لعدوهم في أوطانهم ، فهذا عبد الله بلخير يشجب واقع المسلمين المتردي في ماضي الأندلس الآفل ، وحاضرها الماثل ببلدانهم معدداً الأدواء التي نخرت كيانهم من انحراف عن الجادة، وفرقة في الصف ...» [18] .

وهذا الشاعر حيدر الغدير يعبر عن إدانته لمواقف الاستسلام،والانهزامية التي تتبدى في حاضر المسلمين الماثل من خلال إدانة والدة أبي عبد الله الصغير آخر سلاطين بني الأحمر ، لانهزاميته ، واستسلامه ، فيقول:

أنا الفارس المفجوع فيما صنعته وأنت كعاب في إزار منعم
ألا فابك مثل الغيد ملكاً أضعته وما صنته عن عفة وتكرم
ألا مت كالشجعان في حومة الوغى وأهرقت للإسلام غالية الدم
و موتك في الحمراء عرس أحبه ورفة نعمى كالرحيق المختم
ولو مت مقداما لمت مخلداً وصرت نشيداً كالزغاريد في فمي
وخلدت بين المسلمين كحمزة وكفنت في برديك غسلت بالدم [19]

أما الشاعر أحمد صالح فهو يذهب إلى أنه لا يصلح حاضر الأمة الماثل للعيان بترديات ، إلا بما صلح به ماضي الأندلس بتردياته الأولى ، وذلك بخروج(صقر قريش) ، يحمل النصر والفتح:

يخرج من أصلاب أمية
صقر قريش
يخرج نبت الأرض خيولا
تحمل هم القدس
وحزن الناس
وتحمل أغلى جيش
يأتي نصر الله قريباً

يأتي الفتح
يأتي مثل طلوع الشمس [20]

وعندما يدخل الشاعر السعودي مطلق الثبيتي إلى مدينة غرناطة الجميلة،يذكر ماضيها الآفل ، زمن الانتكاس ، وضمور التوهج ، وتستدعي تلك المشاهد حاضر أمته الماثل، فيتألم ، ويشعر بشجن عميق على ما يحصل في البلاد الإسلامية ، وفي الوطن العربي من فساد ، فيصيح مستنهضاً(أبا الحجاج) ، من سلاطين بني نصر الذين قاوموا الهجمات الصليبية، ودافعوا عن هوية المسلمين في الأندلس ، فيقول:

وقفت فيها وكان الصمت يلبسها كأنني بين نساك وعباد
فما رأيت أبا الحجاج يعمرها وما رأيت بها بهواً لمرتاد
ناديته وعيون القوم ترمقني انهض فقد عاث فينا الغاشم العادي [21]

الرؤى الشعرية والمستويات الفنية:

لقد ركز الدكتور حسن الوراكلي في المبحث الأخير من دراسته على إبراز خصائص الرؤى الشعرية،والمستويات الفنية للنصوص الشعرية التي كتبت عن الأندلس من قبل شعراء المملكة العربية السعودية ، وقد أشار في البدء إلى أمرين اثنين:أولهما توحد الرؤى الشعرية، وثانيهما تعدد المستويات الفنية.

أولاً: فيما يتعلق بالرؤى الشعرية ، ولاسيما في بعدها التصويري ، والفكري ، فهي رؤى إسلامية اللحمة ، ويرجع الباحث هذا الأمر إلى أن انتماء الشعراء العقدي واحد ، كما أن مرجعيتهم الثقافية واحدة ، وكلاهما نابع من قيم الإسلام ، ومثله ، كما جاءت في القرآن الكريم، والسنة النبوية الشريفة ، ووفق تلك القيم تتضح رقعة الوطن في عيون الشعراء ،لتشمل مجموع البلاد الإسلامية من أقصاها إلى أقصاها.

ويرى الدكتور حسن الوراكلي أن الرؤية التصويرية التي يصدر عنها الشاعر السعودي قد انعكست على« خطابه الشعري الأندلسي ، فأبانت عن التزام صاحبه بقضايا أمته الإسلامية ، وكشفت عن التحام وجدانه الفردي بوجدان أمته ، ولعل في ثنائية(الماضي الآفل والحاضر الماثل)الكثير من الأمثلة في أشعار شعراء المملكة العربية

السعودية ، كما أن توظيف شعراء المملكة العربية السعودية لرموز من تاريخ الأندلس في أشعارهم ، كما تجلى هذا الأمر عند صالح الزهراني ، وأحمد صالح ، ومطلق الثبيتي ، هو من أثر هذه الرؤية في توجيه النظر إلى التاريخ الإسلامي ، والذاكرة الثقافية الإسلامية لامتياح الرموز من شخصياتها ، ووقائعها ، وأمكنتها ، ولاشك أن هذه العناصر ، مضافاً إليها عناصر أخرى معجمية ، ودلالية ،وتركيبية بلورت رؤيته هذه بما لا يحتاج إلى بيان» (22)

وبالنسبة إلى المستويات الفنية في الأشعار التي كتبت عن الأندلس من قبل الشعراء السعوديين ، فالباحث الوراكلي يذهب إلى أنها مستويات متعددة ، ومتفاوتة في حظوظها من عناصر الإبداع الأسلوبية ، واللغوية ، والخيالية ، والإيقاعية ، ففي بعض الأشعار يقوى عنصر التصوير ، وينشط الخيال ، وتهيمن اللغة الجمالية بكل حمولتها المعجمية ، والتركيبية ، والدلالية ، كما أفادت بعض النصوص الشعرية السعودية من النص الآخر ، حول الموضوع ذاته ،أو ماله به صلة ، وبذلك فقد تواصلت الإبداعات الشعرية التي كتبها عدد غير قليل من شعراء المملكة العربية السعودية عبر سياقها الأندلسي بجملة من النصوص ، منها ما هو تراثي له إيحاءات، وظلال في الفضاء الأندلسي.

خاتمة:

وفي الختام بقي أن نقول إن كتاب«الأندلس في ذاكرة الشاعر السعودي» يعد واحداً من أهم الكتب النقدية التي حللت بعمق تجربة مجموعة من شعراء المملكة العربية السعودية الذين كتبوا إبداعات مشرقة عن البلاد الأندلسية الزاهرة ، حيث حلل المؤلف باستفاضة ، ودقة أشعارهم الجميلة ، والساحرة ، واختيار الدكتور حسن الوراكلي لدراسة تجربة شعراء المملكة العربية السعودية ، تعد خطوة جريئة وشجاعة بذل من خلالها جهداً كبيراً ، وتطلبت منه الدأب ، والصبر ، والروية، وقد انتهت تلك الجهود إلى تقديم خدمة جليلة للباحثين في ميدان الأدب السعودي ، والأدب الأندلسي ، فقد جاءت دراسة الدكتور الوراكلي غنية في أفكارها ، وسلسة في أسلوبها ، وجديدة في

مضامينها ، فالمسائل التي أجلت عنها الغموض جعلتها دعامة لأبحاث لاحقة ، وفيها يلفي الباحث ما يُشبع فضوله.

إن هذا الكتاب يمكن أن ندرجه ضمن واحد من الدراسات النقدية الثمينة التي سلطت الضوء على تجربة شعراء المملكة العربية السعودية ، وما تجدر الإشارة إليه هو أن هذا الموضوع ما يزال يستحق الكثير من الدراسات ، والأبحاث.

الهوامش:

(1) د.حسن الوراكلي: الأندلس في ذاكرة الشاعر السعودي،منشورات مطابع الشويخ، تطوان ،المغرب الأقصى ،1421هـ-2000م ، ص:1.

(2) ينظر:د.إبراهيم القادري بوتشيش:المرابطون وسياسة التسامح مع نصارى الأندلس،نموذج من العطاء الحضاري الأندلسي،مجلة دراسات أندلسية،عدد:11،رجب1414هـ/1994م،تونس،ص:22،وما بعدها، وينظر:د. بومدين كروم:ملامح الحوار الديني في الحضارة الأندلسية ، أعمال الملتقى الدولي الحضارة الإسلامية بالأندلس،أيام:14،و15،و16 ربيع الأول1428هـ/2،و3،و4أفريل2007م،منشورات المجلس الإسلامي الأعلى بالجزائر،2008م،ص:21 وما بعدها، وينظر:د.سعد بوفلاقة :حوار الثقافات في الغرب الإسلامي،مجلة المنار الجديد،عدد مزدوج32/31،صيف،خريف2005م،القاهرة، مصر،ص:53 وما بعدها.

(3) د.حسن الوراكلي: الأندلس في ذاكرة الشاعر السعودي ،ص:7-8.

(4) د.حسن الوراكلي: المرجع نفسه،ص:11.

(5) المرجع نفسه،ص:15 وما بعدها.

(6) ينظر:محمود رداوي: عبد الله بلخير شاعر الأصالة والملاحم العربية والإسلامية،ص: 196، نقلاً عن د.حسن الوراكلي: الأندلس في ذاكرة الشاعر السعودي،ص:17.

(7)المرجع نفسه، والصفحة نفسها.

(8)ينظر:ديوان الطائر الغريب،ص:117، نقلاً عن د.حسن الوراكلي: الأندلس في ذاكرة الشاعر السعودي،ص:18.

(9) ينظر:ديوان الهوى والشباب،ص:31، نقلاً عن د.حسن الوراكلي: الأندلس في ذاكرة الشاعر السعودي،ص:18.

(10) ينظر:ديوان محمد حسن فقي(الأعمال الكاملة)،ج:01،ص:422، نقلاً عن د.حسن الوراكلي: الأندلس في ذاكرة الشاعر السعودي،ص:19.

(11) ينظر:ديوان أندلسيات،ص:78، نقلاً عن د.حسن الوراكلي: الأندلس في ذاكرة الشاعر السعودي،ص:19.

(12) ينظر:ديوان الشاعر حسين عرب،ج:2،ص:236،و227، نقلاً عن د.حسن الوراكلي: الأندلس في ذاكرة الشاعر السعودي،ص:20.

(13) ينظر:قصيدة قرطبة الإثنينية،ج:1،ص:114، نقلاً عن د.حسن الوراكلي: الأندلس في ذاكرة الشاعر السعودي،ص:26.

(14) د.حسن الوراكلي: الأندلس في ذاكرة الشاعر السعودي،ص:31.

(15) ينظر:مسرحية غرام ولادة،ص:73، نقلاً عن د.حسن الوراكلي: الأندلس في ذاكرة الشاعر السعودي،ص:33.

(16) د.حسن الوراكلي: المرجع السابق،ص:35.

(17) ينظر:ديوان أندلسيات،ص:88 وما بعدها، نقلاً عن د.حسن الوراكلي: المرجع نفسه،ص:34.

(18) د.حسن الوراكلي: المرجع السابق،ص:37.

(19) المرجع نفسه،ص:42.

(20) ينظر:ديوان انتفضي أيتها المليحة،ص:56 وما بعدها، نقلاً عن د.حسن الوراكلي: المرجع نفسه،ص:43.

(21) ينظر:ديوان أندلسيات،ص:78، نقلاً عن د.حسن الوراكلي: المرجع نفسه،والصفحة نفسها.

(22) المرجع نفسه،ص:47 وما بعدها.

قائمة المصادر والمراجع:

أ-الكتب:

1- بومدين (كروم):ملامح الحوار الديني في الحضارة الأندلسية ، أعمال الملتقى الدولي الحضارة الإسلامية بالأندلس،أيام:14،و15،و16 ربيع الأول1428هـ/2،و3،و4أفريل2007م،منشورات المجلس الإسلامي الأعلى بالجزائر،2008م.

2-(الوراكلي)حسن : الأندلس في ذاكرة الشاعر السعودي،منشورات مطابع الشويخ، تطوان ،المغرب الأقصى ،1421هـ-2000م.

ب-المجلات:

1-(بوتشيش)إبراهيم القادري :المرابطون وسياسة التسامح مع نصارى الأندلس،نموذج من العطاء الحضاري الأندلسي،مجلة دراسات أندلسية،عدد:11، تونس،رجب1414هـ/1994م.

2- (بوفلاقة) سعد :حوار الثقافات في الغرب الإسلامي،مجلة المنار الجديد،عدد مزدوج32/31، ،القاهرة، مصر، صيف،خريف2005م.